المجلد الثامن والعشرون للعام ٢٠٢٤م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

تحليل خطاب اللاشعور
في لاميّة أبي العلاء المعرّي دراسة بينيّة

Analysis of the discourse of the unconscious in Abi Al-Ala Al-Maarri's Lamiya, Inter-study

بقلم

ميران أحمد محمود أبو الهيجاء

مركز اللغات ـ الجامعة الهاشمية ـ الأردن

الترقيم الدولى/ ISSN: 2356 - 9050

العدد الأول من إصدار يونيه ٢٠٢٤م
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٢٤/٦٩٤٠م

تحليل خطاب اللاشعور في لاميّة أبي العلاء المعرّي دراسة بينيّة

ميران أحمد محمود أبو الهيجاء
مركز اللغات ـ الجامعة الهاشمية ـ الأردن.
البريد الإلكتروني : M.ALKHUZAYYIM@QU.EDU.SA

الملخص

تناولت هذه الدّراسة تحليل خطاب اللاشعور في لغة الشّاعر أبـي العـلاء المعرّي، بهدف الكشف عن التّواشج والتّعالق القائم بين علم النّفس وعلم اللغـة من جهة، وعلم النفس والتحليل النفسي لروائع الأدب العربـيّ، فـالنصّ الأدبـيّ مرتبط بلاشعور صاحبه، وعند الحفر والتنقيب في زواياه المختلفة، تتجلّى لنا الأنا الشّاعرة على حقيقتها، متسترة خلف البنيات اللغويّة الظّاهرة للمتلقي.

وجاءت هذه الدّراسة في قسمين: يحتوي القسم الأوّل على الإطار النّظري، وتعريف عدد من المفاهيم مثل: تحليل الخطاب، اللاشعور في علم النّفس، ومفهوم الدّراسات البينيّة. أمّا القسم الثّاني فهو تطبيقيّ قدّم تحليلًا لقصيدة لامية أبي العلاء المعرّي.

وتقوم هذه الدّراسة على المنهج الوصفيّ في تحليل خطاب اللاشعور، كمـا أنّها تعتمد الدّراسة البينيّة، بهدف دمج المباحث المختلفة وإظهار مـدى التّنـاغم النّاتج عن انصهار الحواجز بين المعارف المختلفة، والنتائج المترتبة علـى ولادة الإطار المفاهيمي الجديد.

وخلصت الدّراسة في أهمّ نتائجها إلى أنّ القراءة النّفسيّة في النصّ الأدبيّ هي النّافذة التي ستُفتح على النص، وتستنطق مكنوناته للمتلقي، فالنصّ يعدّ مجالًا خصبًا لاكتشاف حياة المبدع اللاشعوريّة، ولا يمكن سبر أغوار الخطاب الأدبيّ إلّا باستحضار معارف محايثة كعلم النفس وغيرها.

كما أنّ الدّراسة البينيّة ساهمت في تكامل التّخصصات ممّا سمح بالقضاء على مساحة الخلاف للوصول إلى فهم شمولي، نتج عنه كمًّا من المعرفة الجديدة والمعاني الجديدة.

الكلمات المفتاحيـة: الخطاب، علم اللغة، علم النّفس، اللّاشـعور ، الدّراسـة البينيّة.

Analysis of the discourse of the unconscious in Abi Al-Ala Al-Maarri's Lamiya, Inter-study

MIRAN AHMAD ABUALHYJAA
Languages Centre, Hashemite University,Jordan.
Email: M.ALKHUZAYYIM@QU.EDU.SA

Abstract

This study analyzed the discourse of the unconscious in the language of the poet Abu Al-Alaa Al-Maarri, with the aim of revealing the interrelationship and relationship that exists between psychology and linguistics on the one hand, and psychology and psychological analysis of the masterpieces of Arabic literature. The literary text is linked to the unconscious of its owner, and when digging and exploring its various angles, it becomes clear to us. The poet's ego is what it is, hidden behind the linguistic structures apparent to the recipient.

This study came in two parts: The first section contains the theoretical framework and the definition of a number of concepts such as: discourse analysis, the subconscious in psychology, and the concept of interpersonal studies. The second section is applied and provides an analysis of the poem by Lamiya Abu Al-Ala Al-Maarri.

This study is based on the descriptive approach in analyzing the discourse of the subconscious, and it also adopts an interdisciplinary study, with the aim of integrating the various topics and showing the extent of harmony resulting from the fusion of barriers between different knowledge, and the consequences resulting from the birth of the new conceptual framework.

The study concluded in its most important results that psychological reading in a literary text is the window that will open to the text and interrogate its contents for the recipient. The text is a fertile field for discovering the subconscious life of the creator, and the depths of literary discourse cannot be explored except by evoking immanent knowledge such as psychology and others.

Interdisciplinary study also contributed to the integration of specializations, which allowed for the elimination of room for disagreement in order to reach a comprehensive understanding, which resulted in an amount of new knowledge and new meanings.

Keywords: Discourse, linguistics, psychology, the subconscious, interdisciplinary study

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد

فإنَّ هذه الدّراسة تعمد إلى تحليل خطاب اللاشعور في لغة الشّاعر أبي العلاء المعرّي، بهدف الكشف عن التّواشج والتّعالق القائم بين علم النّفس وعلم اللغة من جهة، وعلم النفس والتحليل النفسي لروائع الأدب العربيّ، فالنصّ الأدبيّ مرتبط بلاشعور صاحبه، وعند الحفر والتنقيب في زواياه المختلفة، تتجلّى لنا الأنا الشّاعرة على حقيقتها، متسترة خلف البنيات اللغويّة الظّاهرة للمتلقي.

أدبيّات الدّراسة:

ومع أهميّة القراءة النّفسيّة للأعمال الأدبيّة، وانشغال النّقاد والباحثين في تحليل المنتوج الإبداعي والنّبش في مكنون المبدع، والاستفادة من مساهمات سيغموند فرويد، وجاك لاكان، في الحقل النفسي، إلّا أنّ الدّراسات التي تناولت اللاشعوريّة في الأعمال الأدبيّة قليلة، وقد قدّمت بعض الدّراسات أساسيات ومفاهيم تقاطعت مع هذه الدّراسة وأفادت الحقل البحثي، يُذكر منها: دراسة القراءة النفسية للنص الأدبيّ للباحث: د.محمد عيسى، إذ تتبع ما قدمه الباحثون من جهود نقديّة لقراءة النّص الأدبي العربيّ قراءة نفسيّة، وأهم القضايا التي أُثيرت أثناء تحليل النصّ.

ودراسة أُخرى بعنوان: البواعث النفسيّة في هجاء بشار بن بُرد، للباحث: معتز قصي ياسين، وقد بيّنت هذه الدّراسة أهم البواعث النفسيّة التي

تقف خلف الهجاء ولغته، وعلاقة العمل الأدبي بعالم اللاشعور، ودوره في كشف المكبوتات والبواعث، وتلتقي هذه الدراسة مع دراستنا في ذكر أهم البواعث النفسية التي تقف خلف الأبيات الشعرية.

ودراسة: تفكيك بلاغة اللاشعور عند المتنبي من خلال ميميته "واحر قلباه"، للباحث هشام بن علال الدحماني، التي كشفت عن مفهوم اللاشعور وتمظهره في النّص الأدبي.

أسئلة الدّراسة:

هل تمكّن علم النّفس ونظرياتهِ من اقتحام عالم اللغة، وتحليل الخطاب الأدبيّ؟

هل استطاعت هذه القراءة النفسيّة كشف عوالم النصّ الخفيّة؟

هل تمكّن خطاب اللاشعور من الحفر والتّنقيب في خبايا الذّات الشّاعرة؟

أهداف الدّراسة:

قامت هذه الدّراسة محاولة إيجاد خطوط التلاقي بين المجالات المعرفيّة المختلفة في دراسة بينية تقوم على تبادل الخبرات والخلفيات الفكريّة بين علم النّفس وعلم اللغة، والأدب العربي على وجه الخصوص.

حاولت هذه الدّراسة إماطة اللثام عن عوالم النص الخفيّة والمتوارية بين أنساقه، في دراسة نفسيّة تسلّط الضّوء على البنية اللغويّة اللاشعوريّة في أبيات شعريّة من عيون الأدب العربيّ.

قامت هذه الدراسة بالتنقيب والبحث في خبايا الذّات الشّاعرة باحثة عن خطاب اللاشعور، فالنصُّ الأدبي يرتبط ارتباطًا أصيلًا بلاشعور صاحبه.

أهمية الدّراسة:

تنبع أهميّة هذه الدّراسة من كونها دراسة عابرة للتخصصات، إذ ركّزت على تحليل خطاب اللاشعور في النّصّ الأدبيّ، قراءة نفسيّة ساهمت في قراءة

النص الأدبيّ من الدّاخل، بطريقة مغايرة لما أفصح عنه المبدع، مستترًا خلف بنياتهِ الظّاهرة.

فاستفادت هذه الدّراسة من العلوم الإنسانية، وانعكاساتها على الأدب، وخاصّة علم النفس وتجلياته في دراسة البنيات اللاشعورية في النصّ.

فـ (جاك لاكان) يصرّح أن جوهر اللغة لا شعوري، واللغة تشكّل منطق اللاشعور وماهيته، ويرى أنّ اللاوعي يتكون كلغة ويتجلى في مظاهرها، ويقول أيضًا: بأنّ ما تكشفه تجربة التحليل النّفسي هو بنية اللغة بكاملها.

المنهج المتّبع في هذه الدّراسة:

اختارت هذه الدّراسة المنهج الوصفي التحليلي في تحليل خطاب النص الشّعري، كما أنّها اعتمدت المنهج البينيّ الذي يسعى لدمج العلوم والمعارف المختلفة في حقل واحد يسمح بتعدّد التّخصصات بما يتواءم مع مخرجات البحث العلميّ.

خطة الدراسة :

اقتضت طبيعة هذا الموضوع أن يأتي في مقدمة ، وقسمين ، تعقبهما خاتمة البحث .

أما المقدمة ففيها أهمية الدراسة وأهدافها ، وأسئلتها ، والمنهج المتبع فيها ، وخطة السير فيها .

وقسما الدراسة ، هما :

القسم الأول : يحتوي على الإطار النّظري، وتعريف عدد من المفاهيم . وفيه ثلاثة محاور :

المحور الأول : مفهوم تحليل الخطاب .

المحور الثاني : مفهوم اللاشعور في علم النّفس .

المحور الثالث : مفهوم الدّراسات البينيّة.

القسم الثّاني : هو تطبيقيّ يقدّم تحليلًا لقصيدة لامية أبي العلاء المعرّي. وفيه أربعة محاور :

المحور الأول : التعريف بالشاعر .

المحور الثاني : قراءة في خطاب الأنا المتوهّجة:

المحور الثالث : قراءة في خطاب التشاؤم والكبت:

المحور الرابع : الخصائص الفنية للنص وشعريته :

والخاتمة فيها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة ، ويعقبها قائمة المصادر والمراجع .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

القسم الأول : **الإطار النّظري، ويتناول تعريف عدد من المفاهيم** ،

وفيه ثلاثة محاور :

المحور الأول : **مفهوم تحليل الخطاب** .

الخطاب في محاولة تأصيليّة لهذا المصطلح من خلال دراسة الباحث التّونسي (المختار الفجاري)، في دراسته الموسومة بـ (تأصيل الخطاب في الثّقافة العربيّة)، رجع فيها إلى القرآن الكريم والحديث النّبويّ الشّريف، ولسان العرب لابن منظور، ومن أهمّ المعاني الّتي أشار إليها: الشّأن والخطب، إذ تردّد في القرآن الكريم خمس مرّات موزّعة على خمس سور. ومن المعاني الأُخرى: كلام حامل لشأن أو غرض، وفي لسان العرب يقال: خطب فلان إلى فلان مخاطبة أي : أجابه، والخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وتعني أيضًا: إنجاز الشّأن والغرض(١).

أمّا أصل ومضمون الخطاب في الفكر الغربيّ فنجد أوّل من طرح مسألة الخطاب في الدّراسات الألسنية هو (بيسونس)، الّذي رأى أنّ الخطاب ممكن أن يكون موضوع نظريّة ألسنية، أمّا النقلة الألسنيّة الكبيرة فق ظهرت عند (بنفيست)، الّذي تجاوز الإطار الشّكليّ للألسنيّة البنيويّة وذلك بطرحه لمسائل الوظيفة ودور الفاعل المتكلّم في العمليّة المنطوقة، وهنالك توجّه كامل في فرنسا يسمّى تحليل الخطاب لخّصها (شرودو) في أربع منظومات: المنطوقة، والحجاجية، والسّرديّة، والخطابيّة، وفي الجانب الفلسفيّ فانحصر الخطاب عند السفسطائيين وسقراط في حدود المعنى(٢).

---

(١) مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، د.الزواوي بغورة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠م، ص٨٨ -٨٩.

(٢) انظر: المرجع السّابق نفسه، ص٩٠، ص٩٢.

أمّا (ميشيل فوكو)، فيعرّف الخطاب بـــ: أحيانًا يعنـــي الميـــدان العـــام لمجموع المنطوقات، وأحيانًا أُخرى مجموعة متميّزة من المنطوقات، وأحيانًا ثالثة ممارسة لها قواعدها تدلّ على وصف عدد معيّن من المنطوقات وتشـــير إليها. ويعرّفه أيضًا بـــ: مجموعة من المنطوقات بوصفها تنتمـــي إلـــى ذات التّشكيلة الخطابيّة، فهو ليس وحدة بلاغيّة أو صوريّة قابلة لأن تتكرّر إلى ما لا نهاية يمكن الوقوف على ظهورها واستعمالها خلال التّاريخ، بل هو عبارة عن عدد محصور من المنطوقات التي تستطيع تحديد شروط وجودها(١).

فعند إطلاق مصطلح الخطاب فإنّ الذّهن ينصرف مباشرة إلى الإنجـــاز اللغويّ، سواء كان جملة، أو عددًا من الجمل، أو نصًّا، يـــربط بـــين بنياتـــه الدّاخلية وظروفه المقاميّة، ومستعمليه، فظروف الخطاب تتبع للمقام وظروف التّواصل.

فعلم اللغة هو العلم الّذي يتّخذ من اللغة موضوعًا له، إذ تناولـــه (دي سوسير) في محاضراته بقوله: موضوع علم اللغة الوحيد والصّحيح هو اللغة معتبرة في ذاتها ومن أجل ذاتها(٢).

ولعلّ من أهمّ الدّراسات المتّصلة بالخطاب الدّراسات النفســيّة، ومـــن المفاهيم المألوفة لعلم النّفس أنّه: العلم الذي يدرس الحياة النّفسيّة وما تتضمّنه من أفكار ومشاعر وإحساسات وميول ورغبات وذكريات وانفعالات، كما أنّه يُعرّف بأنّه: العلم الّذي يدرس سلوك الإنسان أي ما يصدر عنه مـــن أفعـــال وأقوال وحركات ظاهرة، وهو أيضًا العلم الّذي يدرس أوجه نشاط الإنســـان وهو يتفاعل مع بيئته ويتكيّف لها(٣).

---

(١) انظر: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو ، ص٩٤، ص٩٥.

(٢) علم اللغة مقدّمة للقارئ العربيّ، د.محمود السّعران، دار النهضة للطباعة والنّشـــر، بيـــروت، ص٤٩.

(٣) أصول علم النّفس، د.أحمد عزّت راجح، دار الكتـــاب العربـــي، القـــاهرة، الطبعـــة السّـــابعة، ١٩٦٨م، ص٣

المحور الثاني : مفهوم اللاشعور في علم النّفس .

من أبرز المفاهيم في الحقل النفسيّ التي كان لها أثر كبير في إعادة إنتاج الخطاب الأدبيّ مفهوم اللاشعور، ولكي ندرك ما هو اللاشعور، يجب أن نعرف ما هو الشّعور.

فقد اهتمّ علماء النّفس بدراسة الشّعور، لأنّ كلّ ما تحويه النّفس هو شعور، فهو الخاصّة الأساسيّة من خواص النّفس، وهو خاصّة ملازمة لها طول الوقت، فكانوا ينظرون إلى نفس الإنسان كما ينظر الرّائي إلى ماء النّهر، فيظنّ أن كلّ ما هنالك من ماء هو ما يحويه المجرى الّذي يستطيع أن يلمسه ويقدّره، وفاته أنّ ماء النّهر يتسلل في شقوق الأرض ومساربها فيملأ فجواتها، ولو قدّرنا كمية الماء جميعًا لوجدنا أنّ ما يملأ المجرى ليس إلّا جزءًا منها، والقدر الذي يضيع في الباطن أكبر، فكما أنّ الماء يضيع في الباطن كذلك محتويات النّفس لا تظهر كلّها في تيار الشّعور(١).

فكذلك تظهر المحتويات النفسيّة الغائرة في الأحلام وفلتات اللسان، وظواهر العصاب وغيرها، وهذه الطّبقة العميقة من النّفس هي اللاشعور. هي طبقة في غاية العمق، خفيّة عن الشّخص غاية الخفاء، وهي زاخرة بالمحتويات العقليّة من أفكار ورغبات وجميعها تتدافع وتلحّ لكي تبرز إلى الشّعور، لكنّها لا تستطيع ذلك، كما أنّ صاحبها لا يستطيع أن يبرزها إلى شعوره بأي مجهود يبذله، ولكنّها على الرّغم من ذلك ذات أثر كبير في توجيه شخصيته، فهذه الرّغبات الكامنة تستطيع أن تؤثر في تصرّفاته(٢).

---

(١) مبادئ التّحليل النّفسي، محمّد فؤاد جلال، مؤسسة هنداوي للنشر، ٢٠١٧م، ص٣٧.

(٢) انظر: المرجع السّابق نفسه، ص٣٨-٤٠.

المحور الثالث : مفهوم الدّراسات البينيّة.

أمّا فيما يتعلّق بالدراسة البينيّة فهي منهج يساهم في تبادل الخبرات والاستفادة من الخلفيّات الفكريّة والمناهج البحثيّة المختلفة بين الباحثين وإدماجها في إطار مفاهيمي ومنهجي شامل، يساعد على توسيع إطار الدّراسة والظواهر والمشكلات وتقديم فهم أفضل لها، الأمر الذي يؤدّي في نهاية المطاف إلى الخروج بنتائج دقيقة وتقديم حلول نافعة قابلة للتطبيق(١).

ويتجلّى تطبيق الدّراسة البينية على الأدب من خلال التركيز على رصد العلاقة القائمة، والانعكاسات المضيئة، بين الخطابات الأدبية وعلم النفس، وهذا التداخل الحاصل يلتقي عند نقطة النّصّ خدمة له، وتجلية لجوانبه، وإظهارًا لكوامن مبدعه النفسية والفكرية الغائرة في ذاته.

وفي إطار التطبيق، تمكّنت عين الناقد من مزج مفاهيم علم النفس، وخاصّة البنية اللاشعوريّة

بالأنا المبدعة، وما نتج عنها من أعمال ومعارف وأسرار مخبوءة في بنية الخطاب الأدبيّ.

ويؤكّد (جاك لاكان) أهميّة الاكتشاف (الفرويدي) اللاشعوريّ بوصفه نظامًا مختلفًا عن الأنظمة ما قبل الشّعوريّة، فاللاشعور عند فرويد يمتلك قوانينه الخاصة ويتضمن عملياته الأساسيّة، مثل التكثيف والتحويل، فيقوم (لاكان) بتحليل هاتين العمليتين بمنهجية لغويّة، وهو في هذا السياق يبني نظرية حقيقية متكاملة عن بنية اللاشعور، فاللاشعور كما يريد (لاكان) أن يقول : إنه يؤدي عمله وكأنه لغة بنائية، فهو الذي يتكلم داخل الإنسان(٢).

---

(١) الدراسة البينية، مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، جامعة الأميرة نورة، ٢٠١٧م .

(٢) البنية اللاشعورية للغة من منظور لاكان، د.علي أسعد وطفة. http://salehalali.com ٩- مقال منشور في موقع:

فاجتماع الكلمات بطريقة معيّنة يكسبها سلطة الإيحاء باللامتوقع والمجهول، فالقصيدة في بعض الأحيان تعرف أكثر من الشّاعر نفسه، وإذا كان المعنى فائضًا في النّص، فإنه في مكان ما يعاني نقصانًا في الوعي، والحدث الأدبيّ لا يحيا إلّا إذا انطوى في نفسه على جزء من انعدام الوعي، أو اللاوعي نفسه، ومهمّة النقد الكشف عن هذا النقصان، أو هذا الفيض، وبما أن الأدب يحتوي في دواخله على اللاشعور فإننا سنقرّب بينهما إلى حدّ المزج[1].

(١) التحليل النفسي والأدب، جان بيلمان نويل، ترجمة: حسن المودن، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٧م، ص٩.

القسم الثّاني : **هو تطبيقيّ يقدّم تحليلًا لقصيدة لامية أبي العلاء المعرّي**، وفيه أربعة محاور .

توطئة:

في رحلةِ مرورنا على النّصوصِ الأدبيّةِ الشّعريّةِ، لا يمكنُ لنا أن ندرسها بمعزلٍ عن الظّروف النفسية والخلفيّات المختلفة الّتي ساهمت في ظهورها على السّطح، فالمبدعُ ابن عصرهِ وزمانهِ، يحاولُ جاهدًا أن يلبّيَ حاجاتِ العصرِ ومكوّناتهِ الأساسيّة، كما أنّهُ يحملُ على عاتقهِ في بعض الأحيان همومَ البيئة، وما تحمله من إشكاليّات وقضايا، فالمثقّف على مرّ العصور لسان الحال ومرآة الواقع، لكنّهُ أيضًا في صراعٍ دائمٍ يدورُ حولَ الابتكار والتّجديد من جهة، والعودة إلى الموروثِ من جهةٍ أخرى، بمزاوجة إبداعيّة لا ينفكّ على مدى العصور من الاتّكاء عليها، فهو يتعامل يتأرجح بين الأصالة والمعاصرة.

والناظرُ إلى الخطاب الشّعريّ يرى انعكاسًا لشخصيّة الـ (أنا) في تمازج مع الآخر الـ (هو)، منطلقًا من خلالِ هذه الثّنائيّة نحو تصدير بيئتهِ وجوانب مجتمعهِ، بلغةٍ تشي بالواقعِ أحيانًا، وبخطاب اللاشعور في كثيرٍ من الأحيان.

تنطلقُ دراسة تحليل خطاب اللاشعور الخاصّة بالبحث باتّجاه عددٍ من المحاور الّتي قد تكون سبيلًا انطلقَ منهُ الشّاعرُ حينَ نظمَ النّصَّ وأبدعه وستتوزّعُ على النّحو التّالي:

المحور الأول : التعريف بالشاعر،

ويتناول النقاط الآتية :

- **عصره وبيئته**[1]:

تجدرُ الإشارةُ هنا إلى إمارة بني حمدان أيّام سيف الدّولة، حيثُ الحروب المتواصلة، في ظلّ أمير يغدقُ على الأدباء والعلماء بسخاء، ممّا اضطرّه إلى جمع الأموالِ من الرّعيّة، ولما توفى خلفه ابنه أبو المعالي، ثمّ ابنه أبو الفضائل، وفي أيّامهما تفاقمت الخطوب وأصبحتْ إمارة حلب – يومَ نشأ شاعرنا– معتركًا لأربع قوى رئيسة:

الأولى، الحمدانيّة: وكانوا قد ضعفَ أمرهم وأخذتِ السّيطرةُ تخرجُ من أيديهم.

الثّانية، الفاطميّة: أصحاب الأمر في مصر، وكانَ لهم المطامع في حلب، حيثُ لم يألوا جهدًا في دسّ الدسائس وإرسال الجيوش لفتحها.

الثّالثة، قبائل البادية: والّذينَ كانَ لهم شأن يُذكرُ في هذا الاضطرابِ السّياسيّ.

الرّابعة، الرّوم: حيثُ الغارات على إمارة بني حمدان، وأشدّ الأعداء لسيف الدّولة، أصبحوا أيّام (المعرّي) عونًا لبعض أمراء المسلمينَ، بسبب التطاحن الدّائم بين المسلمينَ، ويمكن أن نلمحَ ذلكَ في شعره.

فالنّاظر باتّجاه الأحوال السّياسيّة الّتي ترعرعَ فيها شاعرُنا، يراها كثيرة الاضطراب والفتن والأهوال.

---

(١) أمراء الشّعر العربيّ في العصر العبّاسيّ، أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطّبعة التّاسعة عشرة، تموز/ يوليو، ١٩٩٨م، ص ٣٨٩– ٣٩٠.

•نسبه ومولده ونشأته:

هو أبو العلاء أحمد بن عبدالله بن سليمان بن محمّد التّنوخي المعـرّي، والمعرّي نسبة إلى معرّة النّعمان، وهي بلدة في الشّام من أعمال حمص بـين حلب وحماة، كانَ من بيت علم وقضاء، ورياسة وثراء، تولّى جماعة من أهلهِ قضاء المعرّة وغيرها، ونبغَ منهم قبلَه وبعدَه كثيرونَ، أبوه عبدالله بن سليمان، ولّي القضاء بعدَ أخيه محمّد بن سليمان، وتوفي بحمص سنة ٣٧٧هـ، وله في رثاء والدهِ الشّعر الكثير، ولدَ في ربيع الأول ٣٦٣هـ، وعُمي بالجدريّ أول سنة ٣٦٧هـ، حيثُ غَشى يُمنى عينهِ بياض، وذهبْتِ اليسرى جملةً، وكانَ يقولُ: لا أعرفُ من الألوان إلّا الأحمر ، لأنّهم ألبسوني يومَ جُدرت ثوبًا معصفرًا، لا أعقلُ غير ذلكَ، كانَ قصيرَ القامةِ، نحيفَ الجسمِ ضعيف، مشوّه الوجهِ بآثار الجدريّ، ومُنيَ في آخر عمرهِ بالإقعاد، نشأ في المعرّة، وأخذَ النَّحْو واللغة عن أبيهِ، وعن محمّد بن عبد الله النحوي في حلب، ثمّ رحلَ إلى طرابلس وفيها خزائن كتب موقوفة، فأخذَ منها ما أخذَ من العلمِ، ثمّ رحلَ إلى بغداد سنة ٣٩٨هـ، أقامَ فيها سنة وسبعة أشهر، عادَ بعدها إلى المعرّة وأقامَ فيها إلى وفاتهِ [١].

انعكستْ آفة العمى على شخصيّتهِ في مرحلة مبكرة من حياتهِ الشّخصيّة، من سوء في المظهرِ، ومعاناة في الحياة، وقلّة رحمة من المجتمع، إلّا أنَّ هذا لم يمنعْ من تحدّيهِ العقبات، انطلاقًا من رفعةٍ وسمو، وانطلاقًا من إحساس بعبقريّة كامنة في داخلهِ، وثقافة متشعّبة أحاطَ بها، وتشرّبها بعقلٍ منفتحٍ، ورأي حرّ وشخصيّة مستقلّة، وظلَّ يصرخُ طوال حياتهِ الّتي اقتربتْ

(١) أبو العلاء المعرّي، أحمد تيمور باشا، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة مصر، الطّبعة ٢٠١٢م، الصفحات: ١١-١٣-١٥-٢٠-٢٣-٢٦.

من التّسعينَ عامًا، بما اعتقدَه حقّ، كما التفتَ لذاتهِ وهو يعرفها حقَّ المعرفة، وعيًا، وذكاءً، ومعرفةً، فكانَ لابدَّ من أن يعرّفَ المقرّبينَ فيها، بثقةٍ عاليةٍ بالنّفسِ[1].

اطّلعَ المعرّي على الفلسفة الفارسيّة والهنديّة، في أثناءِ رحلتهِ في بغداد، ثمّ عادَ إلى المعرّة زاهدًا في الدّنيا، وآثرَ العزلةَ ولزم بيتَه، وسمّى نفسهُ (رهينَ المحبسينِ) واتّخذَ من سفرهِ أداة للتّعبيرِ عن آرائهِ في النّاسِ، والأخلاق، والطّبيعةِ، والدّين، على نحوٍ اتّسمَ بالتّشاؤمِ والسّخطِ، كما ألزمَ نفسَه فنيًّا بما لا يلزم من قيود في قوافي الشّعر، وتكلّفَ الغريبَ فيه، وإكثارهِ من البديع.

مؤلفاته : ومن أهمّ آثارهِ الشّعريّة ديوان (سقط الزند)، و (لزوم ما لا يلزم) و (ضوء السّقط) و (الدّرعيّات)، ومِن كتبهِ النثريّة (رسالة الغفران)[2].

(١) هكذا تألّمَ المعرّي، محمّد حوّر، النّاشر وزارة الثّقافة، عمّان، الأردن، ٢٠٠٧م، إصدارات إربد مدينة الثقافة الأردنيّة، صور الدّنيا عندَ المعرّي، بحث قدّم لمجلس مجمع اللغة العربيّة الأردنيّ ١٧ كانون الثاني، يناير، ٢٠٠٧م، ص ٣٩-٤٠.

(٢) القصيدة العبّاسيّة قضايا واتّجاهات، د.عبدالله التّطاوي، مكتبة غريب، ١٩٨١م، ص٢٠٧.

المحور الثاني : قراءة في خطاب الأنا المتوهّجة:

والخطاب الشّعريّ مدار الدّراسة مأخوذٌ من ديوانه (سقط الزند)، يصفه الدّكتور طه حُسين قائلًا: "ليسَ في سقط الزّند من الفخرِ شيء كثيرٌ، وإنّما هي قصائد قليلة أنبلها اثنتانِ، أولاهما: الهمزيّة، وثانيتهما اللاميّة الّتي مطلعها:

ألا في سبيلِ المجدِ ما أنا فاعل عفافٌ وإقدامٌ وحزمٌ ونائل

وأضاف: أنَّ للحكمةِ والمثل حظًا موفورًا، وللمبالغة والغلوِّ فيها قسطٌ عظيمٌ، ولم يتجاوز فيها الشّاعر الكلام عن نفسهِ، والتّمدّح بكرم خلقهِ، وبُعد همّه"(١).

كما يرى أيضًا: "أنَّ شعر المعرّي في طوره الثّاني لم يبلغ الغموض الّذي بلغه في طوره الثّالث، وذلكَ لأنَّه كانَ شديد الحرص فيه على التّقليد والاحتذاء، وعلى أن يتّصل بشعره بأهلِ عصرهِ، ومن هنا ظهر روح المتنبي في أشعار هذا الطّور، حتّى إنّك لتقرأ لاميته الّتي مطلعها: "ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل"، ويخيّل إليكَ أنّك تقرأ ديوان المتنبي، ومصدر ذلك عنايته بالشعر العباسيّ درسًا وتحصيلًا، فقد شرح ديوان البحتري والمتنبي وأبي تمّام"(٢).

➢ قراءة في خطاب الأنا المتوهّجة:

ينقسمُ الخطاب الشّعري إلى لوحات تتمظهر من خلال موقف الأنا من النفس، والأنا من الآخر.

---

(١) تجديد ذكرى أبي العلاء، طه حسين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، طبعة ٢٠١٢م، ١٧٣.

(٢) انظر: المرجع السّابق نفسه، ص ١٨٧.

ويعدّ خطاب النص من الشعر الّذي يمثّل المرحلة الأولى من حياة الذّات الشّاعرة، حيث ارتسمت ملامح الشّاعريّة والتقليد واتّباع السّابقين في النظم والموضوعات والألفاظ.

هذه الومضة السّريعة، ساهمتْ في إضاءة سريعة على النّصّ وصاحبه، وأعانت على فكّ بعض من مغاليقه وبنياتهِ، فالذّات عملت على حشدِ الكثير من الصّفات لتمهّد للأنا المتعالية الّتي تملك من أسباب العلو والرّفعة والعلم الغزير.

يحيلنا المطلع أو المفتتح الشّعريّ على ثنائية الأنا المتوهّجة في مقابل الآخر المنطفئ، فالأنا الشاعرة تسرد مناقبها وفضائلها، معلنة قدرة خارقة على كلّ الأصعدة، فهي الذّات التي تتعالى بالعفاف والإقدام والشجاعة، حيث تغدو لو كان الصّبح سيوفًا مسننة، وتسري ولو كانَ الليل والظّلام جيوشًا مدجّجة:

وأغدو ولو أنّ الصّباحَ صوارمُ وأسري ولو أنَّ الظّلام جحافلُ[1]

"فبالرّغم من هذا الفخر، والاعتداد الظّاهر إلّا أننا قد نلمح حزنًا عميقًا في بعض المفردات، فهو الكفيف الّذي لا يدرك الليل والنّهار، إدراك المبصرين، فليس لديه معرفة بصريّة بمفاصل الزّمن، وحدوده. وكلّ ما لديهِ محاكاة وتقليد وسماع، فحصيلته حصيلة سماعيّة"[2]. فهذه هي الحال الّتي تقبع الذات تحت وطأتها، بين القوّة والانكسار، فهي تحاول إنكار النقص والعاهة الملازمة لها بصور بصريّة حركيّة تومئ بالقوّة والثّبات، ولكنّ خطاب

(١) شرح ديوان سقط الزند، لأبي العلاء المعرّي، دار بيروت للطباعة والنّشر، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٧م، القصيدة السادسة عشرة ، ص ١٩٤.

(٢) د. عدنان عبيد العلي، شعر المكفوفين في العصر العباسي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، سنة ١٩٩٩م، ص٦١.

اللاشعور الكامن في خطاب الشّعور أظهر هذا الانكسار المتواري خلف قـوّة وهميّة تتلاشى مع قراءة النصّ بصورته النفسيّة الحقيقيّة.

هذهِ الذّات المتوهّجة ترى على سبيل المبالغة أيضًا إشارات خارقة يمكن أن تجيء بما لم يأتِ بهِ الأوائل:

وإنّي وإن كنت الأخير زمانه لآتٍ بما لم تستطعه الأوائل[١]

فهي ثقة بالنّفس غير محدودة تنبِئ عن أشياء تخفـى عـن الآخـرين، أبرزها هذه الدّعوة الّتي جاء بها "آت بما لم تستطعه الأوائـل" وهـي تشـي باتساع ثقافته، وعمق نظره في التراث[٢].

وتستمر الذّات الشّاعرة في سرد الصّفات الّتي غلبت علـى الخطـاب العام، والتي ساهمت لغة النص في تعزيزها.

واللافت للنظر أنّ الأنا تحاول ذات مرّة من خلال أنسـاق الـنص، أن تثبت تفوّقا وقدرة على الآخر، الّذي غالبًا ما كانت تحطّ من شأنه وتقلل مـن قدرته ووجوده، فهيَ تطرحُ قضية رئيسة ألا وهي: الحرب مع الآخر وانعدام ارتباط الأنا به، فهي تعاني صراعًا بين عـالم المبصـرين، وتنـتهج نهجًـا واضحًا، محاولةً سد العجز المتمثّل بفقدان البصر، في ثنائيّة بـارزة تتمثّـل بالبصر والبصيرة.

" وتتّخذ إسقاطات الشّاعر الكفيف من البصيرة سلاحًا لمواجهة الضّعف، والشّعور بالنّقص، من خلال العقل وهي وسيلته في هذه المواجهة، الّتي يسعى فيها لإثبات الذّات، وتقوية العزائم، فتتخذ إسقاطات المعرّي، ضروبا مختلفة،

(١) انظر: المرجع السابق نفسه، شرح ديوان سقط الزند، ص ١٩٣.

(٢) انظر: مرجع سابق، هكذا تألّم المعرّي، ص٤٠.

لكنّها جميعًا تتّخذُ صبغة التّشاؤم الحادّ والشّعور العارم بالمرارة والأسى، منحازة إلى الفخر الخفيّ بالبصيرة"[1].

فرهين المِحبسين أو الثّلاثة- كما أُطلق عليه-، وضعَ نفسَه في عزلة إراديّة معلنًا رفضه كلّ مظاهر التزييف والادّعاء والجهل، وانعزل العالم بعد فترة من حياته، وعاد إلى مسقط رأسه زاهدًا في الدنيا حيث لزم بيته، وقبل ذلك فُرضت عليه عزلة عن رؤية العالم عندما أُصيب بالعمى في صغره، فهو رهين العمى بالإكراه، وحبيس النفس والنأي جانبا عن الآخر بالاختيار. كما أبقى نفسه رهين الجسد الذي لم يتلذذ بمفاتن الحياة فلم يتزوج ولم ينجب وبقي وحيدا متشائما ساخطًا يلزم نفسه بمالا يلزم.

(١) انظر: المرجع السّابق نفسه، شعر المكفوفين في العصر العبّاسيّ، ص٦٩-٧٢.

المحور الثالث : قراءة في خطاب التشاؤم والكبت:

فالذات تحارب خارج النسق الجمعي، وتنطلق من نسق فردي متكئة على الفخر الفردي والتفرد والتعالي، وهذا التأويل يقودنا إلى حديث عن هذا الخطاب فبنيات النّصّ تشير إلى ملامح من التّواصل والاتّصال بين الأنا الشاعر، والآخر الوشاة والحسّاد، حيث تتصدّى الأنا لتبرير انعزالها وتعاليها في ظلّ هذا الجهل المتفشّي وقلب الحقائق وتغيّر الشخوص والأزمنة والأمكنة، فالتقلبات طالت كلّ ما حوله وهو بنفاذ بصيرته وقوّة حدسه استطاع تلمّس ما يدور حوله ليعلن هروبًا وانسحابًا من هذه الحياة الذميمة:

ولمّا رأيتُ الجهل في النّاس فاشيًا تجاهلت حتى ظُنّ أني جاهل

فواعجبا كم يدّعي الفضل ناقص ووا أسفا كم يظهر النقص فاضل(١)

نكادُ نزعمُ أنّ التّظاهر بالنّقص والجّهل لم يدمْ، حيث إنّ شاعرَنا لا يملك سوى علمهِ ذخيرة يجابه به العالم الخارجيّ، لذلك سرعان ما نجده ينطلق بعد هذه البوح القصير، والتّماهي مع صفات الجهل الّتي أراد إسقاطها على الآخر حقيقةً، فتقودنا الأنساق المضمرة إلى إشارات ضمنيّة قد يكون أرادها تتمثّلُ بتردّي الحال وقلب الموازين والحقائق(٢).

كما أنّ الذات الشاعرة ربطت العجب بادّعاء النّاقص للفضل، والأسف بإظهار الفاضل للنّقص، فوضعت الألفاظ في المواضع اللائقة بها ولو عُكِسَ الأمر لأخلّ بالنّظمِ، وأوجد فيه موضع انتقاد لذوي الفهم، والأسف هنا للتحسّر والتلهّف على حال الفاضل.

---

(١) انظر: المرجع السابق نفسه، شرح ديوان سقط الزند، ص ١٩٤.

(٢) شروح سقط الزّند، القسم الثاني، تحقيق: مصطفى السّقا وآخرين، إشراف الدّكتور طه حسين، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ١٩٨٧م، مركز تحقيق التراث، الطبعة الثالثة، القصيدة السادسة عشرة، ص٥٢٨.

كما سعت الذّات الشّاعرة لتأطير النظرة السّوداوية والتشاؤميّة في بنيات النّصّ، حيث لم تعد تثق بالزّمان وتقلّباته وصروفه، إلى أن وصل الحال بها إلى اليأس والعبثيّة واللاجدوى من الإصلاح، والنتيجة أصبحت لا تبالي بالمهلكات مهما عظمت.

فلو بانَ عضدي ما تأسّف منكبي ولو مات زندي ما بكته الأنامل

لم تعد هذه الذّات تتأسف على بُعد أحد منها، حتّى لو كان قربه قُرب العضد للمنكب، أو قرب الزّند للأنامل، في محاولة لتقريب صورة التشاؤم وطبعها في ذهن المتلقي، فمن خلال رسم هذه المشاهد الدقيقة حاولت تحديد الموقف العام من العالم المحيط.

وفي محاولة لتقريب الصّورة في ذهن المتلقّي، في خطاب اللاشعور فكأنّما رغبت ببوح شيء لم تكتبه، وكأنّ الخيبات تتوالى، والانكسارات تنهال، في مقابل خطاب شعوريّ لغته متعالية، مترفّعة، لا تشتكي ولا تئنّ، تتستر خلف لا وعي سوداويّ، فثمة رغبة تشاؤميّة مكبوتة، لم تعد ترى الدنيا إلا بعين السخط والتذمّر.

فخطاب الذّات في باطنه متألمًا رثًّا، وفي ظاهره ناصعًا متعاليًا.

ويُختتم النصُّ بالحديث عن فلسفة الحياة والموت، فالذّات ترى بالموتِ خلاصًا ومخرجًا من هذه الحياة الذّميمة، فهي الذّات الجادة الّتي لا مكان لها في زمن يتّكئ على الهزل، وفي هذا إظهار لحالة السّخط على المجتمع، والتشاؤم من الحال الّذي وصلَ إليه.

المحور الرابع : الخصائص الفنية للنص وشعريته :

إذا تتبعنا الخصائص الفنيّة للنصّ وشعريّتهِ، فقد ارتكزَ على عددٍ من الاختيارات ساهمتْ في تفتح أبواب النصّ نحو تحليل الخطاب وقراءته قراءة تأويليّة، فالنصّ الأدبيّ لا يموت، ففي كلّ قراءة يولدُ نصّ جديد، ورؤى وآفاق جديدة، فالنصّ لا يُسلمكَ دِلالته الحقيقية، فالنّاظر لبعض الإشارات في هذا النصّ يجدُ ومضات كثيرة تتطلبُ كشفًا، نذكرُ منها:

- **التّكرار**:

نلمحُ المظهرُ التّكراري حاضرًا في بنية النّص، ممّا كانَ له أثر كبير في إحداث جرس موسيقي داخلي يلامس في بعض الأحيان أنساق النّص، مستثيرًا المتلقي لفتح باب التأويل، محاولًا فك مغاليق النّص، واستكناه أسباب تعداد الكلمة وتكرارها في غير موضع، كما أنّه إلحاح على زاوية معيّنة في النّصّ، يُعتنى بها أكثر من سواها.

فالتّكرار أيضًا عامل توكيد نغمي، حيث يسعى جاهدًا لتوكيد المعنى الدّلالي وتثبيته.

فنراه يكرّر حرفًا واحدًا (السّين) أربع مرّات في بيت واحد:

ينافس يومي في أمسي تشرّفًا وتحسد أسحاري عليّ الأصائل[١]

ففي هذا التكرار قيم صوتية هامسة تناسب الحالة الشعورية التي ترغب في إبرازها الأنا.

ومن أمثلته الأكثر بروزًا في النص تكرار الضمير العائد على ذات الشاعر بصوره المختلفة، ليشي بحالة من النرجسية والتعالي لدى هذه الذات المتضخّمة.

---

(١) انظر: المرجع السابق نفسه، شرح ديوان سقط الزند، ص ١٩٤.

ولي منطق لم يرضَ لي كنه منزلي على أنّني بين السّماكينِ نازلُ[1]

وفي إطار آخر يتكرر حرف التوكيد أنَّ وبصورته الأخرى إنَّ، على نحو ملحوظ لتأكيد وتثبيت دور الأنا في بنية النص، فنراه في كثير من الأحيان مرتبط بالضمير العائد على (الأنا).

كما يتكرر اللفظ (زمن) وبعض الألفاظ المتعلّقة به كالدّهر ، في رغبة لتوكيد الأنا الّتي ترزح تحت وطأة الزمان وتقلّباته، ومع كل هذا، هذه الذات قد ألفت صروف الدّهر وتقلّباته ولم تعد تبالي فهي في عزلتها الفردية تتعالى على كل ضروب الأيام وما تخبئه من غدر وخيانة، فالحديث عن الزّمن يحيل إلى ثنائيّة الحياة والموت، كما يرسّخ بؤرة التّوتر والقلق مدار النصّ وجمرته، فالقلق والتوتّر يسيطران على هذه الذات في خطابها اللاشعوريّ.

ويمكن اعتبار التّكرار وظيفة تعويضيّة عن فقدان البصر، "فوظيفة التّكرار توضيح المعنى، وتخفيف المعاناة، لما يضفي على المعنى من بيان وعلى الأسلوب من قوة بناء، والسّبب أنّ في استهلاكه فائض التوتر، وتفريغ القلق لما في التكرار من تقليب لوجوه المعاني والدلالات بعد استقصائها، حيث يوفر للشّاعر الكفيف فرص الكشف عن أوجاعه، باستخدام ما لديه من مخزون معرفي، ويلبي حاجاته الطبيعية أو نزوعه للاستمتاع بالإيقاع الذي يميز أدبه بوصف الإيقاع تعويضًا سمعيا "[2].

- **الاتّكاء على الموروث**:

تتعالق بعض الأبيات في هذا النّص مع نصوص غائبة من التراث، فنراه يتعامل مع النّص الغائب بثقافة ومعرفة عالية، فيقول:

---

(١) انظر: المرجع السابق نفسه، شرح ديوان سقط الزند، ص ١٩٤.

(٢) انظر: المرجع السّابق نفسه، شعر المكفوفين في العصر العباسي، ص٣٤٤.

وكيفَ تنام الطّير في وكناتها وقد نصبت للفرقدين الحمائل[١]

فيضرب لنفسه مثلًا بالفرقدين علوًّا ولغيره بالطير في أوكارها.

سبقه إلى هذا المعنى امرؤ القيس حين قال:

وقد أغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكلِ

حيث يمدح الشّاعر نفسه وقدراته على السّير بسرعة بوساطة حصانه الضخم لدرجة أن وحوش الصحراء تقيم في مكانها عندما ترى مشهد الحصان وهو يجري بسرعة خاطفة، ولا تستطيع أن تتحرك من الذهول والخوف، كل هذا يحدث أثناء ذهابه للصيد قبل طلوع الشمس وقبل خروج الطيور من نومها .

كما يتعامل مع الموروث ويتصرف بالنص الغائب ويحوّره من خلال حديثه عن شخصية حاتم الطائي المعروف بكرمه وسخائه، فوصف ببخل مادر، كما تحدّث عن شخصية (قس بن ساعدة الإيادي) الخطيب المفوّه ووصفه بعيّ وفهاهة (باقل)، في هذا الربط اللامنطقي بين الشخصيات التاريخية حاول أن يقرب صورة الواقع الذي أجبره على الانعزال، في حالة من العبثية واللاجدوى من وجود الأشياء، معلنًا سخطه على الحياة الاجتماعيّة من حوله.

كما نلحظ من خلال الصورة السابقة القائمة على الشّخصية التراثية، أنَّ ذات الشاعر استطاعت أن تقيم علاقة ثنائية قائمة على الأضّداد، لها إيحاءات ودلالات خاصة، تناسب حالة الذات المتشائمة السوداوية، فقلب الأحداث أسلوب اتكأت عليه الأنا لتشي بحالة التشظي والضياع، وانقلاب القيم والمفاهيم في المحيط الذي تتفاعل معه.

---

(١) انظر: المرجع السابق نفسه، شرح ديوان سقط الزند، ص ١٩٤.

فمن الطبيعي بعد كل ذلك أن يُرَى حاتمٌ مادرًا، وقسٌّ باقلًا، فقد حوّر النّص الغائب بما يتناسب البعد النفسي للنص، عن طريق قلب التراث ودلالاته وشكله.

"يتبدّى من النّص السّابق أربعة أمثلة عربية تشكّل محاور مكتنزة موحية في إنتاجية الدلالة أولها الوسم المناقض لشخصية حاتم الطائي بالبخل، وتناقضه مع المثل العربيّ (أجود من حاتم)، يعبّر عن تحوّلات الزمن وفساد المجتمع إلى أن يصبح (حاتمٌ) (مادرًا) في المثل العربيّ (أبخل من مادر)، بأن يصبح رمزًا للكرم والعطاء وأن يعيب على حاتم بخله، وثالثها انخفاض وتيرة فصاحة قس (أبلغ من قس بن ساعدة) إلى أن أصيب بالعي، ورابعها توظيف جهالة (باقل) وركاكة كلامه وعدم قدرته على الإفصاح (أعيا من باقل) حيث يجعل المعرّي تلك الأمثال الأربعة ذلها أبعادًا ذات طاقة إشعاعية وتأثيرية.كما أنه اتخذ من بنية التضاد وبؤره مركزية ينطلق منها تصدم المتلقي بمشاعر متناقضة وقيم مختلفة"(١).

وقد نجد الذّات المتأزمة تظهر في بعض زوايا النّصّ فلسفة دينية خاصّة، فهي تدعو الموت ليُقبِل لصعوبة هذه الحياة وسوادها، وربّما كانت محاولة ضمنيّة للتعالق مع نصّ قرآنيّ غائب، تتضحُ فيه حقيقة الوجود وفناء الحياة، قال تعالى:"كلّ من عليها فان*ويبقى وجه ربّك ذو الجلال والإكرام". سورة الرّحمن آية ٢٦-٢٧.

(١) إبراهيم مصطفى، التناص في شعر المعرّي، أطروحة دكتوراه، جامعة اليرموك، ٢٠٠٩م، ص١٢٠، ص١٢١.

- **التّصريع**:

جرى في ذلك مجرى الشّعراء المجيدين السّابقين حيث وشم مطلع النص بالتّصريع، (فاعل – نائل) حتّى يحدثَ تجاوبًا مع المتلقي منذ البداية، فالتصريع من شأنه أن يحدثَ جرسًا موسيقيًّا يلامسُ المتلقي فور وقوعهِ.

- **الأسلوب**:

جاء الأسلوب في ظاهره مباشرًا في أكثر أجزاء النص، لأن الذات تصوّر شريحة من يومياتها الخاصة، لذلك غلبت الفردية والفخر المباشر على الأبيات، كما جاءت الألفاظ سهلة وواضحة ومباشرة لتناسب الحالة النفسيّة الساخطة على كل ما حولها.

لكنّ النصّ حمل في طيّاته ثقلًا من التشاؤم واليأس والكبت والإحباط، في ردود تستّرت خلف خطاب الشّعور الظّاهر للمتلقّي.

ولا نغفل عن أسلوب الحكمة الّذي تمظهر جليّا في البِنى الدّاخلية، ولا شعور الخطاب، فالذات لها رؤية وفلسفة خاصة تجاه المجتمع والناس.

كما أنَّ النّصَّ قصيرٌ يحكمُه موضوعٌ واحدٌ، وهو الفخر الفرديّ، فالقصر مناسب لمتن الموضوع.

وللحوار حضورٌ في النصّ حيثُ تجلّى بين السّهى والشّمس، والدّجى والصّبح، في صورة تقريبية للواقع، لتشي بحالة الانقلاب والعبثية، فالسّهى النجم الخافت يخاطب الشمس وينعتها بالخفاء ، والدّجى يحاكي السهى فيصف الصّبح بالحائل في دلالة تفاعليّة بين الأضّداد.

وقالَ السُّها للشّمس: أنت خفيّة وقالَ الدُّجى: يا صبحُ لونكَ حائل[١]

(١) انظر: المرجع السابق نفسه، شرح ديوان سقط الزند، ص ١٩٥

- **المحسنات البديعية**:

جاء استخدام المحسنات البديعية على نحو ساهم في تأصيل البعد النفسي للأبيات فيأتي النص بالطباق في رغبةٍ لتأصيل دلالات التفاعل بين الأضداد، وتقريب الصور للمتلقي، فيقول: يومي\أمسي، الأرض\ السماء، الحياة\ الموت.

أمّا في المقابلةِ، لفتٌ للانتباهِ، وتثبيتٌ للصور المتضادة في ذهن المتلقي.

وأغدو ولو أنّ الصّباح صوارم وأسري ولو أنّ الظّلام جحافل[١]

في رغبةٍ لإظهار الفخر المباشر بالفرد، تحاول الذات الشاعرة أن تؤكّد تفوقها على الآخر مستخدمة هذه الصور المتقابلة فهي تغدو في الصباح ولو كان الصباح سيفًا، وتسري مساءً ولو كان المساء جحفلا.

وللمجانسة اللفظيّة حظوة في النّصّ، في قول الشّاعر:

ولمّا رأيتُ الجهلَ في النّاسِ فاشيَا تجاهلتُ حتّى قيل : إنّي جاهلُ[٢]

فقد ورد في البيت المصدر، والفعل، واسم الفاعل، (الجهلُ، تجاهلتُ، جاهلُ)، في استخدام موسيقيّ متناغم مع أجواء النصّ، ورغبة الذّات اللاشعوريّة في تأكيد صفة الجهل المحوريّة في النصّ، المنتشرة بين النّاس بطريقة تشي بالعبثية واللاجدوى من كلّ الأشياء، كما تحقّق من خلال رد العجز على الصّدر تنوّع موسيقي.

(١) انظر: المرجع السابق نفسه، شرح ديوان سقط الزند، ص ١٩٤.

(٢) انظر: المرجع السابق نفسه، شرح ديوان سقط الزند، ص ١٩٤.

- **الموسيقى الخارجية للنص**:

تتمثّل بالوزن والقافية والروي، فالنصّ على البحر الطّويل، سار في هذا مسار من سبقوه في الجاهليّة، حيث كانوا يكثرون من النظم في البحر الطّويل، لأنّه كثير المقاطع، فسبيل المناظرة والمفاخرة يتطلّب طول النفس، فهذا البحر يمتاز بمطاوعته لجميع الأغراض الجادة بامتداد تفعيلاته.

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

أمّا الرّوي في هذا النص فهو اللام، وهو من الحروف الّتي تتّسم بالانطلاق من دون تعثر في تلفظها، بالإضافة لمرونتها وسهولة النطق بها.

خلاصة البحث والخاتمة:

"ما أضمر أحد شيئًا إلا ظهر في فلتات كلامه، وزلات لسانهِ"

جاء البحث في خطاب اللاشعور بحثًا نفسيًّا في أبعاده المضمرة، إذ تمكّن علم النّفس من خلق حالة من التواعم بينه وبين الأدب على وجه الخصوص، فنكاد نجزم أنّ النصّ الأدبي يجيد التّستّر في عباءة الخطابات اللغوية المضمرة، ويتقن الفرار من المبدع نفسه، فهذا التمازج بين المعارف فتح آفاق الخطاب اللغويّ وسمح له أن يُقرأ بكيفيّة مختلفة تعتمد على ما لا يُقال وما لا يُكتب.

فاستطاعَ المبدع وفق هذه القراءة التنقّل بسلاسة من المطلعِ وصولًا إلى الملخص، متّبعًا طريقة الأوائل في الحفاظ على هيكل القصيدة العام. فجاء المفتتح محمّلًا بالفخر المباشر واللغة المتعالية، وتعداد الصّفات والمناقب، وتظهر الأنا في أوج توهّجها، لتمهّد للانتقال للموضوع مدار النصّ وبؤرته بحسن تخلّص بارع، تمكّن من خلاله توضيح أسباب التوتر والتأزم الّتي تعانيها الذات مع الآخر، مع أنّها تتفوّق عليه بكلّ شيء، وختامًا مع الملخص والنتيجة التشاؤميّة الّتي خرجت بها بعد معاناة مع الآخر، وحضور الموت كنتيجة حتميّة لهذا الصّراع، فالذّات لا تجد لها مكانًا مع الآخر الّذي أبدت سخطها وتمرّدها عليه.

وفي النهاية نجد أنّ ذات الشاعر الكفيف، قد تكون اتّخذت من البصيرة والفخر بها، وسيلة دفاع نفسيّة وتعويضيّة لا شعوريّة، لإثبات تميّزها وتفرّدها على الآخر الّذي طالما ادّعى العلم وهو جاهل، كما ادّعى الكمال وهو ناقص، مستخدمة خطابًا لا شعوريًا تسلل متخفيًا بين أغلب أبيات الخطاب الأدبي.

قائمة المصادر والمراجع:

- علم اللغة مقدّمة للقارئ العربيّ، د.محمود السّعران، دار النهضة للطباعة والنّشر، بيروت.
- أصول علم النّفس، د.أحمد عزّت راجح، دار الكتاب العربي، القاهرة، الطبعة السّابعة، ١٩٦٨م.
- مبادئ التّحليل النّفسي، محمّد فؤاد جلال، مؤسسة هنداوي للنشر، ٢٠١٧م.
- مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو، د.الزواوي بغورة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠م.
- الدراسة البينية، مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، جامعة الأميرة نورة، ٢٠١٧م.
- البنية اللاشعورية للغة من منظور لاكان، د.علي أسعد وطفة. مقال منشور في موقعhttp://salehalali.com
- التحليل النفسي والأدب، جان بيلمان نويل، ترجمة: حسن المودن، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٧م.
- أمراء الشّعر العربيّ في العصر العبّاسيّ، أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطّبعة التّاسعة عشرة، تموز/يوليو، ١٩٩٨م.
- أبو العلاء المعرّي، أحمد تيمور باشا، مؤسسة الهنداوي للتّعليم والثقافة، القاهرة، مصر، الطّبعة ٢٠١٢م.
- هكذا تألّمَ المعرّي، محمّد حُوّر، النّاشر وزارة الثّقافة، عمّان، الأردن، ٢٠٠٧م، إصدارات إربد مدينة الثقافة الأردنيّة، (صور الدّنيا عندَ المعرّي)، بحث قدّم لمجلس مجمع اللغة العربيّة الأردنيّ ١٧ كانون الثاني، يناير، ٢٠٠٧م.

- القصيدة العبّاسيّة قضايا واتّجاهات، د.عبدالله التّطاوي، كليّة الآداب، جامعة القاهرة، مكتبة غريب، ١٩٨١م.
- إبراهيم مصطفى، التناص في شعر المعرّي، أطروحة دكتوراة، جامعة اليرموك، ٢٠٠٩م.
- شعر المكفوفين في العصر العباسي، د. عدنان عبيد العلي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، سنة ١٩٩٩م.
- تجديد ذكرى أبي العلاء، طه حسين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، طبعة ٢٠١٢م.
- شرح ديوان سقط الزند، لأبي العلاء المعرّي، دار بيروت للطباعة والنّشر، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٧م، القصيدة السادسة عشرة.
- شروح سقط الزّند، القسم الثاني، تحقيق: مصطفى السّقا وآخرين، إشراف الدّكتور طه حسين، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ١٩٨٧م، مركز تحقيق التراث، الطبعة الثّالثة، القصيدة السّادسة عشرة.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٧٠٦
٢-	Abstract	٧٠٧
٣-	المقدّمة	٧٠٨
٤-	القسم الأول : الإطار النّظري، ويتناول تعريف عدد من المفاهيم ،	٧١٠
٥-	المحور الأول : مفهوم تحليل الخطاب .	٧١٢
٦-	المحور الثاني : مفهوم اللاشعور في علم النّفس .	٧١٤
٧-	المحور الثالث : مفهوم الدّراسات البينيّة.	٧١٥
٨-	القسم الثّاني : هو تطبيقيّ يقدّم تحليلًا لقصيدة لامية أبي العلاء المعرّي،	٧١٧
٩-	المحور الأول : التعريف بالشاعر،	٧١٨
١٠-	المحور الثاني : قراءة في خطاب الأنا المتوهّجة:	٧٢١
١١-	المحور الثالث : قراءة في خطاب التشاؤم والكبت:	٧٢٥
١٢-	المحور الرابع : الخصائص الفنية للنص وشعريته :	٧٢٧
١٣-	خلاصة البحث والخاتمة:	٧٣٤
١٤-	قائمة المصادر والمراجع:	٧٣٥
١٥-	فهرس الموضوعات	٧٣٧